مجلة دراسات وابحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

# الملامح الإجرائية النصية في علم أصول التفسير

## مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية أنموذجا

**belabbas bengraa abdelwahid بلعباس بن قرعة عبد الوحيد**

**1 سنة ثالثة دكتوراه ، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، كلية الآداب و الفنون ،قسم اللغة العربية، مخبر تحليل الخطاب.**

**، Faculty of Arts، University of Oran 1 Ahmed bin Bela،Third-year PhD student**
**Speech Analysis discourse،Department of Arabic Language**

belabbas.abdelwahid@edu.univ-oran1.dz الايميل المهني للباحث الأول

**abdelwahedbelabbas191@gmail.com belabbas bengraa abdelwahid بلعباس بن قرعة عبد الوحيد**

**تاريخ الاستلام:** 2022-11-08 **تاريخ القبول :** 2023-03-09

**الملخص باللغة العربية:**

عني المسلمون بالقرآن الكريم وأحاطوه بهالة من العلوم بغية فهم معانيه وحفظ مبانيه، ومن هذه العلوم علم أصول التفسير الذي وضع بهدف ضبط عملية التفسير واجتناب الشطط فيها، فكان هذا العلم شاملا لكل ما يحيط بالقرآن الكريم، ولكل ماله دور في توضيح معانيه، فشابه في ذلك لسانيات النص التي تهدف إلى شرح النصوص والوصول إلى معانيها بنظرة شاملة محيطة بالنص، ولوجود هذا التشابه أردنا الوقوف على المفاهيم النصية وإجراءاتها في أصول التفسير، ومدى موافقتها لنظيرتها في لسانيات النص، وذلك من خلال كتاب (مقدمة في أصول التفسير) لابن تيمية ،وقد تبين بعد هذا البحث أن أصول التفسير قد استوعبت المفاهيم النصية ومعاييرها بشكل يناسب طبيعة دراسة النص القرآني.

**الكلمات المفتاحية:**

أصول التفسير – اللسانيات النصية –المفاهيم النصية – المعايير النصية.

**Abstract:**

Muslim took care of the Holy Quran and surrounded it with a set of sciences in order to understand its meaning and preserve its foundations, such as the science of the origin of interpretation, which is designed to control its process and avoid error in it.
This science was inclusive of everything surrounding the Holy Quran and everything that has a role in clarifying its meaning, which is similar to the language of the text in order to explain the texts, and to reach their meaning with a comprehensive view of it.
And because of this similarity, we wanted to see the textual concepts and its procedures in the origin of interpretation, and its extent to which it agrees with the counterpart in the language of the text, through the book (MOKADDIMA FI OSOL ETTAFSIR) of Ibn Taymia.
This research has shown that the origins of the Interpretation have absorbed textual concepts and its criteria in a manner appropriate to the nature of the study of the Quranic text.

**Keywords:**
OSOL ETTAFSIR - Textual linguistics - Textual concepts - Text standards.

**مقدمة:**

اهتم المسلمون اهتم المسلمون منذ فجر الإسلام بالقرآن الكريم وتفسيره، كما اهتموا بدراسته من كل جوانبه وعلى كافة مستوياته، وحرصوا أشد الحرص على عدم الاختلاف في تفسيره، مما حدا بهم إلى وضع علم يضبط لهم أليات التفسير ويقلل الخلاف فيه، دون حَجْر على العقول في فهم القرآن والغوص في معانيه، أو الاستنباط من علومه ودرره وكوامنه.

وبغية تحقيق هذه الغايات السامية وضعوا ما عُرف بعلم أصول التفسير، والذي اعتمد على نظرة شاملة للقرآن الكريم، حيث لا يمنع سعة التعامل مع القرآن الكريم في كافة نواحيه، كما أنه يحصر -في نفس الوقت -احتمال الخطأ في تفسير القرآن الكريم ويمنع الخروج به عن مساره المعتدل وفهمه السليم ومكانته السامية في الإسلام، وبما أنه علم يُنَظّر للتطبيق (التطبيق على النص القرآني) فقد حوى آليات إجرائية واسعة شاملة ودقيقة، بغية تحقيق الغايات السابقة.

ومن أشهر ما ألف في علم أصول التفسير كتاب (مقدمة في أصول التفسير) لابن تيمية رحمه الله، وهو كتاب مختصر ضمّنه المؤلف مجموعة قواعد وأصول يعتمدها المفسر لتفسير القرآن الكريم، وهو من أسهل ما كتب في هذا الفن، وأشهر ما أُلّف في بابه، وأول ما يدرس فيه، فما هي الملامح الإجرائية النصية في هذا الكتاب؟ وتكون الإجابة عن هذه الإشكالية في ثلاثة محاور: الأول في مفاهيم نصية، والثاني في مفاهيم في أصول التفسير، والثالث في الملامح الإجرائية النصية في كتاب (مقدمة في أصول التفسير) لابن تيمية.

**المحور الأول: مفاهيم نصية:**

كانت البحوث اللسانية أول الامر مقتصرة على الجملة، وذلك باعتبار أن النصوص مجموعة من الجمل، فدراسة الجملة تغني عن دراسة النص -في رأيهم-ولكن سرعان ما بانت النقائص في هذه الدراسة، وظهرت محدوديتها وعدم قدرتها على تحقيق النتائج المرجوة من الدراسة اللسانية.

فانتقل البحث اللساني الى دراسة النص ككل واعتباره وحدة متكاملة لا أنه مجموعة من الجمل، بل الجمل مكوناته وليست هي النص في حد ذاته، وهذا ما يعرف بالدراسة السانية النصية، والتي تعنى بالنظر الى النص والى كل ما يمكن أن يساعد في تشكيله أو فهمه، وذلك بغية الحصول على نتائج أفضل وأقرب الى الصحة، وهذه النظرة تجعل فهم النص أدق وأقرب إلى الصواب لأخذه بعين الاعتبار كل ما له علاقة بالنص أو ما يمكن أن يفسره أو يوضح شيئا منه.

ولخص كثير من الباحثين الدراسة النصية فيما يسمى بنصية النص، وهي ما يجعل النص نصا، وجعلوا لها معايير نصية تمس ذات النص ومحيطه وكذا متلقي النص أيضا، منهم من جعلها أربعة معايير ومنهم من جعلها خمسة ومنهم من جعلها سبعة معايير، ومن الباحثين من زاد عليها، وكل منهم له نفس الهدف وهو الإحاطة بالنص من كل جوانبه دراسة وفهما.

ولذا عرف صبحي إبراهيم الفقي لسانيات النص بقوله" هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه، والإحالة أو المرجعية...وأنواعها والسياق النصي ...، ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل) وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتوب على حد سواء"[1]. وهذه هي النظرة النصية الشاملة للنص ولكل ما يحيط به.

وتلك المعايير التي اختلف في عددها الباحثون جعلها دي بو جراند سبعة معايير هي السبك والحبك والقصدية والقبول والإعلامية والمقامية والتناص، وعند النظر فيها نجدها تنقسم إلى ثلاثة أنواع تحيط بالنص وهي:

1-ما يمس النص ذاته، وهما معيارا السبك والحبك.

2-ما يتصل بمستعملي النص منتجا ومتلقيا، وهما معيارا القصدية والقبول

3-ما يتصل بالسياق المحيط بالنص، وهي الإعلامية والمقامية والتناص[2]

وتوضح الأستاذة ليلى يوسف حميد علاقة هذه المعايير بالنص وجوانبه ومتعلقاتها فتقول: "هذه المعايير يتسلط كل منها على جانب من جوانب النص فالأول(السبك) او الترابط يتناول المستوى التركيبي، والثاني(الحبك) أو التماسك يتناول المستوى الدلالي، والثالث(القصدية) يكون على مستوى الهدف الذي يحققه النص حيث يتناول قصد المبدع أو منشئ النص، والرابع (القبول) يكون على مستوى متلقي النص، فهو يجيب على سؤال ماذا فهم المتلقي من النص؟ والخامس (الإعلام) أو الإخبارية، ويتعلق بالكم الذي يحمله النص من المعلومات والحقائق الجديدة، والسادس (المقامية) أو

الموقفية، ويتعلق بالسياق أو المناسبة التي تولد عنها النص، والسابع (التناص)، ويتعلق بعلاقة النص بنصوص أخرى وتبعيته لها وتداخله معها"[3]، وبذلك تمس الدراسة النصية كل ما له علاقة بالنص بغية الوصول الى دراسة متكاملة.

ولكي يكون النص نصا لابد أن تتوفر فيه النصية التي لها معايير تعرف بها فالنص" حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير: السبك أو الترابط النحوي والحبك أو التماسك الدلالي، القصدية أو هدف النص ، القبول أو المقبولية وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص ، والإخبارية أو الإعلام أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه، المقامية وتتعلق بمناسبة النص والموقف"[4] والأصح أن درجة تماسك النصوص تختلف باختلاف تواجد هذه المعايير وتخلفها وفقد واحد منها لا يعني بالضرورة فقد النصية كلها.

إضافة على هذه المعايير فقد أكد علماء لسانيات النص على مفاهيم أخرى مهمة في تحليل النصوص ومنها (البنية الكبرى) فيلاحظ" أن هناك في كل نص –في الغالب-أمرا جوهريا يظهر مضمونه في أرجاء النص كلها ، وكذلك توجد عناصر مهمة في كل نص يستطيع القارئ أن يحددها تبعا لمعارفه واهتماماته، هذا الأمر الجوهري أو العناصر المهمة تسمى الأبنية الكبرى ... وتعرف بأنها التركيب المقدر الذي يفسر أو يعلل تنظيم النص أو الخطاب"[5] ووفق هذه البنية الكبرى تنتظم أجزاء النص، وبمعرفتها تتجلى مفاهيم أخرى كانت متوارية في ثنايا النص خاصة في ترابط أجزاء النص وجمله.

ويقول صلاح فضل مبينا أهمية هذه البنية الكبرى:" فالتحليل النصي إذن يبدأ من البنية الكبرى ...المتحققة بالفعل، وهي تتسم بدرجة قصوى من الانسجام"[6]، وبذلك يتضح مدى أهمية الآليات المعنوية في تماسك النصوص واستنباط المعاني.

**المحور الثاني: مفاهيم في أصول التفسير:**

علم أصول التفسير هو أحد العلوم التي أنشأها المسلمون والتي تهتم بالقرآن الكريم، ووضعها العلماء تيسيرا لتفسير القرآن وضبطا له وتسهيلا لفهم تلك التفاسير الواردة عن السلف، وهو علم مهم إذ به يمنع المفسر من الخطأ في التفسير، كما يسهل على متلقي التفاسير استخلاص المعاني منها وفهمها فهما جيدا.

وعلم أصول التفسير هو:" الآلة التي تعين على فهم القرآن، التي متى أعملها المستنبط في القرآن تمكن من استخراج دلالاته ومعرفة أحكامه"[7]، ويرافقه علم آخر قريب منه ومكمل له وهو علم قواعد التفسير، ويراد بها: "النتائج الناشئة من النظر في التفسير، بعد استقراء كلياته، فيكونان متقابلين، فأصول التفسير طريق يفضي إلى الوصول إليه، وقواعد التفسير: نتائج تنظم كلياته بعد اكتماله واستقرائه"[8]، وكثيرا ما يشتبه هذان العلمان ويتداخلان في الدراسات والمؤلفات.

وللتفريق بينهما نضرب مثالا، ففي قول الله تعالى (والعصر إن الإنسان لفي خسر)[9] يقال إن (ال) في (الإنسان) للجنس وهي دالة على العموم، إذا فكل إنسان هو في خسر إلا من اتصف بالصفات الأربع المذكورة في تمام السورة، فهذا يدخل في أصول التفسير، لأنك تعمل آلة هي دلالة العموم لفهم آية أفادت استغراق جميع الأفراد في وصف معين في آية من آيات القرآن الكريم.

والمثال الثاني: قول ابن عباس رضي الله عنهما (كل سلطان في القرآن فهو حجة) أي معناه الحجة، فهذا يدخل في قواعد التفسير، وذلك لان هذه الجملة منه رضي الله عنه هي كلية مستنبطة من استقراء القرآن ومعرفة معانيه[10].

ويعرَّف علم أصول التفسير بأنه:" علم يبحث فيه عما يختص بالقرآن الكريم، الذي أنزله الله تعالى على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم...وذلك البحث من حيث الإنزال وأسبابه، ومعرفة متقدمه من متأخره، ومكيه ومدنيه، وحضرية وسفريه نزولا، وأسمائه وأسماء سوره وعددها وعدد آياته، وغير ذلك مما يجب معرفته لمن يدرس القرآن الكريم وتفسيره العظيم، وهو العلم بالأصول والقواعد التي يعرف بها معاني الكتاب العزيز"[11]، فهو علم يؤصل لدراسة القرآن الكريم من كل وجه بغية إدراك معانيه وفهم مقاصده فهما سليما.

وموضوع علم أصول التفسير هو القرآن الكريم، واستمداده من القرآن والسنة النبوية، والأخبار الصادقة، والعلوم التي لابد منها في هذا الشأن، وواضعه الأئمة المجتهدون الراسخون في علم التفسير، وأول من ألف فيه: جلال الدين البُلقيني صاحب كتاب (مواقع العلوم من مواقع النجوم) الذي بين فيه أنواعه، وجعلها بضعا وخمسين نوعا، ثم تبعه كثير

من العلماء ومنهم جلال الدين السيوطي الذي ألف كتاب (التحبير في علوم التفسير) وبعده ألف كتابه الشهير (الإتقان في علوم القرآن)[12].

وعند النظر إلى مباحث علم أصول التفسير نظرة شاملة تتضح النظرة النصية فيه، إذ أنه علم اهتم بكل ما له علاقة بالقرآن الكريم، كما اهتمت لسانيات النص بكل ما له علاقة بالنص، وكلاهما أراد من وراء بحثه الوصول إلى المعنى المراد، قال صبحي إبراهيم الفقي: "أما علم اللغة النصي، فإن هدفه الأساسي هو تحليل النص كاملا"[13]، وقال أيضا: "ومن ثم تأكدت أهمية التحليل النصي لإدراك الدلالة التامة للنص"[14]، فكلا من أصول التفسير ولسانيات النص لهما نفس المبدأ ونفس الهدف العام.

ويشير عبد الرحمن بودرع إلى هذه العلاقة بين هذين العلمين قائلا:" ومن مظاهر انسجام النص القرآني وتماسك بنائه: تناسب أجزائه ويدخل في هذا الباب كل المباحث اللغوية والنحوية والبلاغية التي تعنى بالعلاقات الكبرى بين أجزاء النص، ومن شأن هذه الدراسة النصية أن تجنب النص القرآني القراءة التجزيئية، وتقدم قراءة جامعة تنتظم فيه الكلمات والآيات والسور في سلك واحد"[15]، وبذلك تظهر من المعاني ما كان خافيا عند الدراسة التجزيئية.

**المحور الثالث: الملامح الإجرائية النصية في كتاب (مقدمة في أصول التفسير) لابن تيمية:**

اشتمل علم أصول التفسير عموما وكتاب ابن تيمية خصوصا على مفاهيم إجرائية نصية تضاهي تلك التي تبناها علم لسانيات النص، وان كانت المسميات والمصطلحات مختلفة فالمفاهيم والمعاني مشتركة ومتماثلة، وهنا نحاول البحث عن تلك المفاهيم في كتاب (مقدمة في أصول التفسير)، خاصة المعايير السبعة التي مر ذكرها.

**1-السبك:**

وهو معيار نصي يهتم بشكل النص وبنيته:" وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية ...على صورة وقائع يؤدي السابق منها اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط"[16]، ويدخل في السبك عدة عناصر يقوم بها منها: التكرار والتوازي والحذف والإحالة والإضمار والفصل والوصل والإبدال والتعريف، وكلها تساهم في تماسك النص من حيث بنيته وشكله.

وهذه العناصر التي يضمها السبك منها النحوية والمعجمية، وهي مهمة في التفسير بل هي من أصوله، ولا يستغني عنها مفسر ولا قارئ وللتفسير، وأشار ابن تيمية إلى ذلك فقال في معرض كلامه عن الاختلاف في تفسير القرآن:" ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلا جدا، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة الى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان في أكثر"[17]، ففي ضمن هذا الكلام الإشارة إلى عناصر السبك.

ووجه ذلك أن الخلاف يقل إذا التزم المفسرون بأصول منها العلم واليان، ويدخل فيهما كل عناصر السبك النحوية والمعجمية، بل كل علوم اللغة العربية، فكلما التزم المفسر بقواعد اللغة العربية كلما انضبط تفسيره للقرآن الكريم وقل خلافه للحق فيه، وكلما كان المتلقي اعلم كلما كان فهمه لتلك التفاسير أجود وأحسن.

وأشار ابن تيمية الى الاضمار – وهو من عناصر السبك-في ذكر بعض أوجه الخلاف الواردة في التفسير، وأن من أسبابها كون اللفظ"متواطئا في الأصل لكن المراد به أحد النوعين، أو أحد الشخصين، كالضمائر في قوله (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى)"[18]، فإذا علم مرجع الضمير فلا بد أن يقل الخلاف، وهذا ما يستدعي من المفسر ضبط هذا الباب وإحكامه.

2-الحبك(الالتحام):

وهو الترابط الفكري داخل بنية النص، وهو يتوجه إلى الأمور غير اللفظية التي تساعد في تحقيق النصية" ويقوم على الترابط المفهومي الذي تحققه البنية العميقة للخطاب، وتظهر هنا عناصر منطقية كالسببية والعموم والخصوص وهي التي تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية هذا الخطاب"[19]، ومن هذا الوجه تساهم في تحقيق النصية، ولها عدة عناصر تعمل على تحقيقها.

ولابد أن يكون المفسر على دراية بهذا المعيار النصي ، لأنه يمس أهم موضوع في التفسير ألا وهو معرفة معاني القرآن الكريم، لأن المراد من التفسير هو فهم معانيه وتدبر آياته، وهذا لا يحصل إلا بالعلم بما يران من الآيات، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك في فصل سماه:(فصل في أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن)، وقال فيه"[20] يجب أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن، كما

بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى ( لتبين لهم ما نزل إليهم ) يتناول هذا وهذا" ،فكلما كان المفسر أعلم بهذه المعاني التي بينها صلى الله عليه ويلم كلما كان تفسيره منضبطا وسالما من الخطأ.

**3-القصدية:**

لابد أن يكون لكل نص قصدا وهدفا ينوي المتكلم الوصول إليه" ويهتم فيه بعناصر الاتصال والوظائف اللغوية مراعيا موقف المرسل ليتحدد بذلك مقام المخاطب الذي يربطه بالخطاب ويوجب الاستحسان"[21]، فهو من المعايير المهمة في قراءة النصوص وفهما لما يعطيه للمتلقي من فرصة لفهم النص والابداع فيه.

فلابد من فهم مقاصد صاحب النص ومراميه من أجل فهم النص فهما كاملا، ومعلوم أن مدار التفسير على فهم مراد الله من القرآن الكريم، وكلما نقص فهم المفسر لهذه المقاصد الشرعية كلما ظهر الخلاف في تفسيره وجانب الصواب. ويشير ابن تيمية الى هذا في أثناء كلامه عن سبب تأليف كتابه هذا:" فقد سألني بعض الاخوان أن أكتب له مقدمة تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن، ومعرفة تفسيره ومعانيه والتمييز- في منقول ذلك ومعقوله-بين الحق وأنواع الاباطيل والتنبيه على الدليل الفاصل بين الأقاويل"[22]، فمراده من تأليفه هذا الكتاب هو وضع قواعد وأصول تضبط فهم مقاصد القرآن الكريم وتعين على الفهم الصحيح لمعانيه إذ "حاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن الكريم"[23] وعقل معانيه.

**4-القبول (المقبولية):**

ويدور هذا المعيار النصي على المتلقي للنص وكيفية تلقيه له وهو:" قبول القول الحامل على الرسالة ذاتها، ومنه ينطلق إلى رعاية المقام الذي يربطه بالنص الذي يستوجب الإخبارية"[24]، ولا شك أن القرآن الكريم يتلقاه كل المسلمين بالقبول والتسليم، ولكنهم يختلفون في مدى فهمه وعقل معانيه واستنباط فوائده وعبره وعظاته، وبحسب علم المتلقي وتقواه واستقامته على أصول التفسير يزيد فهمه لعلوم القرآن ومعانيه ومقاصده.

وأشار ابن تيمية رحمه الله إلى هذا المعيار وذلك في مواطن من كتابه، منها ما ذكره في معرض كلامه عن نقلة أحاديث التفسير، وكذا في حديثه عن المفسرين ومناهجهم في تلقي تلك المنقولات، فمن متساهل في قبولها، وصارم حازم لا يقبل إلا ما صح سنده الى منتهاه.[25]

و أشار إلى هذا المعيار أيضا في فصل عقده في الخلاف الواقع في التفسير من جهة الاستدلال، فذكر نوعين من المفسرين (وهم في لسانيات النص متلقين) غلطوا في تفسرهم حيث جانبوا أصول التفسير فأحدهما:" قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها، والثاني: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب بكلامه، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن ، والمنزل عليه والمخاطب به"[26]، فالأولون غلطوا في عدم مراعاة معاني القرآن الكريم ودلالاته، والآخرون غلطوا في قصر معاني القرآن على ما يحتمله الكلام العربي دون النظر إلى باقي أصول التفسير التي تقود إلى المعنى الصحيح، وذكر منها هنا مراعاة المتلقي.

**5-رعاية الموقف:**

ويدور هذا المعيار من المعايير النصية حول سياقات النص ومدى تأثيرها في فهم النصوص وإنتاجها، ويعرفها دي بوجراند بأنها التي" تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره"[27]، فالاهتمام بالموقف ورعايته مهم في إنشاء النص وفهمه، بل لا يمكن فهم النص جيدا إلا بوضعه في سياقه ومراعاة الوسط الذي قيل فيه.

وكذلك القرآن الكريم، فإن لسياقاته أهمية بالغة في فهمه فهما صحيحا سليما، لأن فهم المجتمع الذي نزل فيه القرآن، ومعرفة عاداته واعتقاداته وأخلاقه ورجاله وتاريخه، وكذا معرفة أسباب النزول هي من الأصول التي لابد من إحكامها لمن أراد تفسير القرآن الكريم أو أراد فهم تلك التفاسير.

وقد أشار ابن تيمية في كتابه على أهمية السياق في فهم القرآن، فقال في كلامه عمن خالف أصول التفسير وأخطأ فيها:" والآخرون راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز أن يريد به عندهم العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام"[28]، فعدم مراعاة الموقف وساق الكلام مما يخالف أصول التفسير وهو مؤذن بالخطأ في تفسير القرآن.

ومن معرفة السياق ورعاية الموفق معرفة ما يجوز في حق الله تعالى وما لا يجوز، ومثاله أنه إذا علم أن الله تعالى لا يأمر بالمنكر، كما في قوله تعالى"(قل إن الله لا يأمر بالفحشاء)[29]، عُلم بذلك أن قوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)[30] ليس فيه الأمر بالفسق، وأن هذا الأمر ليس أمرا شرعيا وإنما هو أمر

قدري، أي أنه قضاء الله الكوني، أو أن المعنى هو أن الله أمرهم بالطاعات فعملوا المعاصي فاستحقوا العقوبة[31].

ومن مراعاة الموقف معرفة سبب النزول، فإنه موضح لمعنى الآية ومجلّ لها، قال ابن تيمية:" ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب"[32]، أي أن العلم بالشيء الذي ينتج أمرا ما يؤدي إلى فهم الشيء الذي نتج عن ذلك السبب، وهذه قاعدة عامة في جميع الأسباب والمسبَّبات.

ومما يدخل في رعاية الموقف أيضا الأخذ بتفاسير الصحابة رضوان الله عليهم، وذلك لما اختصوا به من شهودهم تنزيل القرآن وحضورهم سياقات نزوله، فاختصوا بهذه المزية التي لم يشاركهم فيها أحد، قال ابن تيمية في فصل عقده في كتابه أسماه ب(تفسير القرآن بأقوال الصحابة) :"وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح" [33]، فأقوالهم في القرآن الكريم نتاج لهذه العوامل المتضافرة والأحوال الجليلة التي لم تجتمع لغيرهم من هذه الأمة.

ويدخل في رعاية الموقف أيضا كثيرا من مباحث أصول التفسير مثل معرفة المكي والمدني، والحضري والسفري، ومعرفة زمن النزول ووقته أيضا، قال إسماعيل بن عثمان المكي في معرض ذكره لمفهوم علم أصول التفسير:" اعلم أن علم أصول التفسير هو علم يبحث فيه عما يختص بالقرآن الكريم...وذلك البحث من حيث الإنزال وأسبابه، ومعرفة متقدمه من متأخره، ومكيه من مدنيه، وحضريه من سفريه نزولا..."[34] ، ومثلها أيضا معرفة النهاري من الليليّ، ومعرفة الفراشيّ: "والمراد بالنهاري ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم نهارا، وبالليلي ما نزل عليه ليلا ، وبالفراشي ما نزل عليه وهو على فراش نومه، سواء كان نائما أو غير نائم"[35] ، وكذلك الصيفي والشتائي ،وكل هذه المباحث متعلقة بالسياق كما هو ظاهر جلي.

**6-التناص:**

وهو معيار نصي يتعلق بالنص ذاته، وأنه لا يوجد نص إلا وله تداخلات مع نصوص أخرى سابقة عليه، وأنه لا يوجد نص صاف خاص من شوائب هذه الفسيفساء، ولكن هذا الأمر لا ينطبق على القرآن الكريم لأنه نص ليس كالنصوص، إذ أنه منزل من السماء ولم ينتج في الأرض كباقي النصوص، فهو من عند الله منه بدأ وإليه يعود، وهو الذي يأخذ منه البشر ولا يأخذ من غيره، ولأن من صفات الله تعالى الغنى ومن أسمائه الحسنى الغني، وهو الذي لا يحتاج إلى غيره في أي شيء، ومن كمال غناه سبحانه أنه لا يحتاج إلى غيره في كلامه ولا غيره.

وقد وجد في كلام الناس بعض الجمل والنصوص سلمت من التناص وكانت نقية صافية منه، وهي المبتكرات من الكلام، وقد تكلم عنها عبد القاهر الجرجاني فقال:" وإنا لنعلم من حال المعاني أن الشاعر يسبق في الكثير منها إلى عبارة يعلم ضرورة أنها لا يجيء في ذلك المعنى إلا ما هو دونها ومنحط عنها، حتى يقضي له بأنه قد غلب عليه واستبد به"[36] ، وذكر مثله أيضا في النثر فقال:" وكذلك السبيل في المنثور من الكلام، فإنك تجد فيه متى شئت فصولًا تعلم أن لن يستطاع في معانيها مثلها"[37] ، فإذا كان هذا الأمر ممكنا في كلام البشر، فمن باب أولى أن يكون في كلام الله تعالى.

وجاءت آيات تشير إلى أن بعض معاني الآيات كان مذكورا في الكتب السابقة مثل قوله تعالى:"(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به موسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)[38] ، ومثل قوله تعالى:( ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه )[39] ، وقوله تعالى:( وإنه لفي زبر الأولين)[40] ، وقوله تعالى:(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه )[41] ، لكن هذا لا يدل على التناص وذلك لأمرين: الأول أنها آيات قليلة وليست كل القرآن، والثاني أنها حكاية عن أمور وجدت في الكتب السابقة بأسلوب فريد وكلام مبتكر جديد، مثل ما قص الله تعالى علينا من أخبار الأمم السابقة، والله أعلم.

أما التناص في أصول التفسير فيمكن أن نجده في كون التفاسير يجب ألا تخرج عن الأصول التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، وألا تخالف أصلا من أصول الدين، فالأصول التي جاءت في الشريعة هي الأصل الذي يجب أن نرى أثره ظاهرا أو خفيا في كل التفاسير التي تأتي، وكل ما خرج عن هذه الأصول فهو تفسير خاطئ مردود، قال مساعد بن سليمان الطيار:" وقد تبين لي بعد جمع مادة هذا الموضوع: أن الانحراف في التفسير كان له أسباب، منها...3-البعد عن تفسير السلف وعدم الأخذ به"[42] ،وتفسير السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام مبني على تلك الأصول ولا يخرج عنها .

**7-الإعلامية (الإخبارية):**

وهي معيار يتعلق بمحيط النص أيضا، وهي تصب في الكم الذي يحمله النص من المعلومات والفوائد، وتعرّف بأنها:" ما يختص بالرسالة اللغوية التي تحمل في شكل جمل تحيل على نصوص سابقة تحمل نفس المؤشرات اللغوية"[43]، وهذه المؤشرات والمعلومات تختلف من نص لآخر ومن متلق لآخر، إذ المتلقي له دور بارز في فهم النص واستنباط الفوائد والمعلومات منه، وكلما كان المتلقي أعلم بالنص والنَّاص والحيثيات كلما كان أقدر على استنباط عدد أكبر من العلوم، وفي هذا المعيار يتبين مدى التداخل الموجود في المعايير النصية والتكامل الذي بينها.

والقرآن الكريم هو أكثر الكتب حملا للمعلومات واحتواء للفوائد، قال الله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء)[44]، فلا يدانيه في ذلك كتاب، وله الأثر الأكبر على البشرية جمعاء منذ نزوله إلى قيام الساعة، فهو أعظم الكتب في ذاته، وأكثرها حملا للمعلومات، وأبلغها أثرا على الناس.

وأشار ابن تيمية إلى ذلك في مقدمة كتابه، فقال متكلما عن القرآن الكريم:" هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء"[45]، وذلك لكثرة ما يستنبطون منه من العلوم والفوائد والأدلة على ما يشكل عليهم من المسائل.

**خاتمة:**

بعد هذا العرض الموجز للمعايير النصية السبعة واسقاطاتها في علم أصول التفسير عامة وكتاب مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية خاصة، نستخلص ما يلي:

-التشابه الكبير بين مفهوم لسانيات النص ومفهوم علم أصول التفسير.

-احتواء علم أصول التفسير على مفاهيم المعايير النصية وتضمنه لها.

-تجلي النظرة النصية في علم أصول التفسير بشكل واضح.

-وجود أصول تفسيرية أخرى خارجة عن المعايير النصية السبعة المذكورة، مما حدى ببعض الباحثين العرب إلى اقتراح نماذج أخرى في لسانيات النص هي أوسع مما جاء في النظريات الغربية، منها – إضافة الى المعايير السبعة-احترام التداولية في مسار البحث التحليلي، والزج بالأنساق الثقافية في التحليل النصي[46].

**قائمة المراجع:**

**-القرآن الكريم**

**أولا: المصادر:**

1- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير،تح عدنان زرزور،مطبعة الكتب ،دمشق ،سوريا ، ط2، 1972.

**ثانيا: المراجع:**

1-أحمد مداس، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث،إربد، الأردن،ط2، 2009،

2-إسماعيل بن عثمان المكي، القول المنير في أصول التفسير،تح: صالح العصيمي،المعارف القرآنية،الرياض،المملكة العربية السعودية،ط1، 2007 .

3-ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لينان، ط1، 1419.

4-خالد حوير الشمس، لسانيات النص: مفهوم نقد رؤية جديدة لدراستها، آفاق أدبية،بغداد، العراق،2019،ع2.

5-دي بوجراد، النص والخطاب والإجراء،تر: تمام حسان، دار عالم الكتب،القاهرة، مصر، ط1، 1998.

6-سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، مجلة فصول،الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،مج1، ع1و2.

7-صالح بن عبد الله العصيمي، شرح مقدمة في أصول التفسير،دار الموقع، المملكة العربية السعودية، ط1، د.س.

8-صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000

9-صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1992.

10-عبد القاهر الجرجاني، الرسالة الشافية، تح: محمد خلف الله ومحمد سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1376.

11-ليلى يوسف حميد يوسف وآخرون، دور نحو الجملة في تفسير النص-المنهج والتطبيق-، مصر،مكتبة الجامعة،ط1، د.س .

12-مساعد بن سليمان الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1.

**. الهوامش:**

- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000، ج1، ص [1].
[2]- ينظر: سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، مجلة فصول، مج1، ع1و2، ص154 [2].
ليلى يوسف حميد يوسف وآخرون، دور نحو الجملة في تفسير النص- المنهج والتطبيق-، مصر،مكتبة الجامعة،ط1، ص231 [3].
صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص34 [4]
المرجع نفسه، ص 34 [5].
[6]صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة الكويت، د.ط، 1992، ص 235-236 [6].
[7]صالح بن عبد الله العصيمي، شرح مقدمة في أصول التفسير،دار الموقع، المملكة العربية السعودية، ط1، د.س ، ص9 [7].
المرجع نفسه، ص10 [8].
سورة العصر، الآية 1 [9].
ينظر: صالح بن عبد الله العصيمي، شرح مقدمة في أصول التفسير، ص11 [10].
إسماعيل بن عثمان المكي، القول المنير في أصول التفسير،تح: صالح العصيمي، المعارف القرآنية،الرياض،المملكة العربية السعودية،ط1، 2007 ،ص21 [11].
ينظر: المرجع نفسه، ص 21-22 [12].
صبحي إبراهيم الفقي،علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص14 [13].
المرجع نفسه، ص15 [14].
عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص،ص 35 [15]
دي بوجراد، النص والخطاب والإجراء،تر: تمام حسان، دار عالم الكتب،القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص 105 [16].
ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير،تح عدنان زرزور،مطبعة الكتب ،دمشق ،سوريا ، ط2، 1972 ،ص 37 [17].
المرجع نفسه، ص50 [18].
أحمد مداس، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث،إربد، الأردن،ط2، 2009،ص 83 [19].
ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص35 [20].
أحمد مداس، لسانيات النص نحو منهج جديد لتحليل الخطاب الشعري، ص83 [21].
ابن تيمية،مقدمة في أصول التفسير، ص33 [22]
المرجع نفسه، ص 33-34 [23].
أحمد مداس لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ص84 [24].
ينظر: ابن تيمية،مقدمة في أصول التفسير، ص 74-78 [25].
المرجع نفسه، ص81 [26].
دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص104 [27].
ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص82 [28].
سورة الأعراف، الآية 28 [29].
سورة الإسراء، الآية 16 [30].
ينظر" ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419، ص283 [31].
ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص47 [32].
المرجع نفسه، ص95 [33].
إسماعيل بن عثمان المكي، القول المنير في علم أصول التفسير، ص21 [34].
المرجع نفسه، ص 33 [35].
عبد القاهر الجرجاني، الرسالة الشافية، تح: محمد خلف الله ومحمد سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1376، ص 139-140 [36].
المرجع نفسه، ص140. [37]
سورة الشورى، الآية 13 [38].
سورة الفتح، الآية 29 [39].
سورة الشعراء، الآية 196 [40].
سورة المائدة، الآية 116 [41].
[42]مساعد بن سليمان الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، ص521.1432 [42]
أحمد مداس، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، ص84 [43].
سورة الأنعام، الآية 38 [44].
ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، ص34 [45].
-[46]ينظر : خالد حوير الشمس، لسانيات النص : مفهوم نقد رؤية جديدة لدراستها، آفاق أدبية، ع2، 2019 ص59 [46]